# جمالية استدعاء التراث في شعر عز الدين المناصرة. قراءة في نماذج مختارة

# *The Aesthetics of Heritage Invocation in the Poetry of Ezzedeen Al-Manasrah. Reading of Selected Samples*

أ(ة). أسماء زاوي [1]



| تاريخ الإرسال: 2023/12/28 | تاريخ القبول: 2024/04/28 | تاريخ النشر: 2024/06/30 |
|---|---|---|



**الملخص:**

الدارس للقصيدة العربية المعاصرة يجدها منفتحة على مصادر متنوعة ومختلفة، بفضلها عبّر الشاعر عن مكنوناته وتجربته الشعرية وواقع عصره، وكان التراث واحدا من أهمّ المصادر التي استقى منها الشاعر مادته الشعرية، فقد كان المنجم الذهبي له، إذ مدّه بتاريخ الماضين ليعبّر عن الحاضر، حيث شكّل حلقة وصل بين الماضي والحاضر، من هنا جاءت هذه الورقة البحثية لتقف على الكيفية التي استدعى بها الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة التراث بمصادره المختلفة: الديني، التاريخي، الأسطوري، الصوفي، الشعبي.

**الكلمات المفتاحية**: التراث، الشعر الفلسطيني، التاريخ، الدين، الأسطورة.

***Abstract:***

*The reading and study of contemporary Arabic poetry unveils its receptivity to diverse and varied sources, through which the poet expresses and conveys his innermost emotions, poetic experiences, and the essence of his time. Among these sources, heritage stands prominently as a reservoir or wellspring from which the poet derives poetic inspiration. It provides him with a rich historical backdrop to articulate the present and serves as a bridge between the past and the present. Hence, this research paper delves into how the Palestinian poet, Ezzedeen Al-Manasrah, skillfully invoked various facets of heritage: religious, historical, mythical, Sufi, and folk.*

1 جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية. zaouiasma@yahoo. fr

***key words***: *Heritage, Palestinian poetry, History, Religion, Myth.*

*** *** ***

**المؤلف المرسل: أسماء زاوي** zaouiasma@yahoo. fr

**مقدمة:**

المتأمل للشعر العربي يجده متعدد المنابع والمشارب؛ التي استقاها الشاعر من الجانب التاريخي أو الجانب الاجتماعي، أو الجانب الديني، أو الجانب النفسي، وحتى الثقافي، وهذا بغية التعبير عن مختلف مناحي الحياة، والوقوف على ما يمر به الإنسان وما يشعر به، واستنادا على هذا وجدناه يلجأ للرمز تارة وللأسطورة تارة أخرى، والكثير منهم لجأ إلى التراث، فعمل على استنطاقه والتناص معه، فانفتحت قصائده بتعدد التراث وتنوع أشكاله، من هنا تبرز الأهمية التي حظي بها التراث في قصيدتنا العربية بشكل عام والقصيدة الفلسطينية بوجه خاص، وعليه جاءت هذه الورقة البحثية لتقف على جمالية هذا الاستدعاء للتراث؛ فقد كان المعين الذي لا ينضب، اغترف الشاعر من مشاربه المتعددة فعبّر عن الأمل والحزن والمحبّة والكره والخير والشر، وغيرها من الحالات الشعورية ومختلف القضايا الإنسانية، وعليه نطرح الإشكالية التالية: كيف كان استدعاء التراث من قبل الشاعر الفلسطيني عز الدّين المناصرة؟ وما هي الأبعاد الجمالية التي حقّقها من خلال هذا الاستدعاء؟

**2. مفهوم التراث:**

**1. 2 لغة:**

جاء في لسان العرب **لابن منظور** في مادة ورث" . . . . أَوْرَثَهُ الشَّيءَ أَبُوهُ، وهُمْ وَرَثَةُ فُلانٍ، وَوَرَّثَهُ تَوْرِيثاً أَيْ أَدْخَلَهُ في مالِهِ عَلى وَرَثَتِهِ، وَتَوارَثُوهُ كابِراً عَنْ كابِرٍ. . . ابن الأعرابيّ: الوِرْثُ وَالوَرْثُ والإِرْثُ والوِرَاثُ والإِرَاثُ والتُّراثُ واحد. الجَوْهَرِيُّ: المِيراثُ أَصْلُهُ مِوْراثٌ، انقلبت الواوُ ياءً لكسرة ما قَبْلَها، وَالتُّراثُ أَصْلُ التَّاءِ فيهِ واوٌ. ابن سيده: وَالوِرْثُ والتُّراثُ وَالمِيراثُ: ما وُرِثَ، وَقِيْلَ: الوِرِثُ وَالمِيراثُ في المال، وَالإِرْثُ في الحَسَبِ"[1].

كما يذهب **جميل صليبا** إلى أنّ التراث" هو الميراث ماديا كان أو روحيا، تقول: التراث الاجتماعي، والتراث الثقافي"[2]

انطلاقا ممّا ذكر فإنّ التراث، هو ما يتم توارثه وتناقله من جيل إلى جيل مهما كان هذا الشيء الذي تم توارثه مالا أو حسبا، ويمكن أن يكون أوسع من ذلك ليمس الجانب الثقافي والاجتماعي.

**2. 2 اصطلاحا:**

لقد شاع مسمى التراث وبتتبع مفهومه العام نجده "ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد، والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية بما فيها من عادات وتقاليد"[3]

انطلاقا من القول يتضح أنّ التراث يتشكل مخزونه من مختلف الثوابت الموجودة في كلّ أمّة، وانتقالها عبر الأجيال يضمن ثباتها ويعكس قدر تنوعها ومدى غناها.

وتراثنا العربي بوجه خاص يحمل في طياته ما ذُكر سابقا وعليه فهو "حصيلة ما عرفته الجماعات والدول العربية والإسلامية في كلّ مجالات الحياة من معنوية ومادية على حدّ سواء وبصرف النّظر عن أصولها الأولى، عربيّة أو إسلامية كانت أم غير ذلك، إذ العبرة بما آلت إليه عناصر هذا التراث عبر العملية التّاريخية التّي استمرت لعدّة قرون، من حيث إنّها أصبحت تمثل حضارة العرب والإسلام وتركتهما"[4]

وفي نفس المضمار يحدّثنا **محمد عابد الجابري** وهو من رواد الحداثة قائلا "التراث هو كلّ ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، سواء ماضينا أو ماضي غيرنا، سواء القريب منه أم البعيد"[5]

نلتمس في القول توسيعه لنطاق التراث فهو ليس كلّ ما توارثه الأجيال في البيئة الواحدة، وإنّما يذهب به إلى ماضي غيرنا كان قريبا أم بعيدا.

**3. العلاقة بين التراث والشعر:**

لقد نوّع الشاعر من مصادره المعرفية، والتراث واحد من مصادره هذه، فقد استلهم منه بما يساعده على تفسير واقعه، والتعبير عن آماله وآلامه، وبهذا كان التراث "في كلّ العصور بالنسبة للشاعر هو الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلّما عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة"[6]

هذا الذي جعل عبد الجليل مرتاض يدعو للاهتمام بتراثنا العربي الخالص وعدم تجاهله والانبهار بتراث الغرب قائلا "والحق أنّ للعرب تراثا عزيزا لو عرفوا قيمته الجوهرية الخالدة ومدى صلاحيته للخلود الذي لا يمثل إلاّ خلود أصحابه، لولوا وجوههم شطره ساجدين"[7]

ومن خلال هذه الدعوة التحفيزية نرى "كثيرا ما ارتد شاعرنا المعاصر إلى تراثه فما خذله هذا التراث مرة؛ ارتد إليه مهموما ومسرورا، مهزوما ومنصورا، حرّا ومقهورا، فوجد فيه ما يهدهد همومه وما يجسد سروره، ما يواسي في هزيمته وما يتغنى بنصره، ما يمجد حريته وما يتمرد على قهره"[8]

وقد عاد الشاعر إلى التراث ووظفه، ومرد ذلك إلى إحساسه "بمدى غنى التراث وثرائه بالإمكانات الفنية وبالمعطيات والنماذج التي تستطيع أن تمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود لها فيما لو وصلت أسبابها بها، ولقد أدرك الشاعر المعاصر أنّه باستغلاله هذه الإمكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة والإيحاء والتأثير، ذلك أنّ المعطيات التراثية تكتسب لونا خاصا من القداسة في نفوس الأمة نوعا من اللصوق بوجدانها"[9]

والشاعر العربي المعاصر استطاع أن يبني من خلال عودته للتراث علاقة وطيدة فهي "علاقة تفاعل وأخذ وعطاء، وبخاصة إذا كان هذا التعامل يصدر عن ذكاء ووعي بما لهذا التراث من قيم جمالية وحضارية عالية، ووفق مقاييس فنية جديدة تساعد على تفجيره وإعادته للحياة ضمن استراتيجية نصية شاملة"[10].

وتعود عودة الشعراء إلى التراث واستلهام أشكاله في بداية عصر النهضة انطلاقا من حركة إحياء الشعر من خلال العودة إلى تراثنا العربي القديم ومحاكاته، وعليه فقد مرّت "علاقة شعرائنا بهذا التراث منذ ذلك الحين بمرحلتين أساسيتين، يمكن أن نسمي أولاهما مرحلة تسجيل التراث أو التعبير عنه، كما يمكن أن نسمي الثانية مرحلة توظيف التراث أو التعبير به. . . . ومرحلة التعبير بالموروث بمعنى توظيفه فنيا للتعبير عن التجارب الشعرية المعاصرة"[11]

كما أنّ الآداب الأوروبية الحديثة هي الأخرى دعت للارتباط بالموروث وهذا يعتبر محفزا آخر لشعرائنا لاستدعاء تراثهم، وكان الناقد الانجليزي ت. س إليوت ممن دعا الشاعر إلى الارتباط بموروثه فهو يرى "أنّ خير ما في عمل الشاعر وأكثر أجزاء هذا العمل فردية هي تلك التي يثبت فيها أجداده الموتى خلودهم، وأنّه ليس لشاعر أو فنان أي نوع من الفنون قيمته الكاملة في نفسه، وإنّما تترتب قيمته على أساس علاقته بالسلف من الشعراء والفنانين"[12]

هذا التوجه كان للشاعر العربي عموما وللشاعر عز الدين مناصرة الذي عكس مدى اهتمامه بالتراث من خلال نصوصه الشعرية، فقد استعان بالتراث في مختلف أشكاله، وفجّر من خلاله الطاقات الكامنة لذاته الشاعر، وساق من خلاله مختلف المواقف والقضايا والحالات الشعورية.

**4. أشكال توظيف التراث وجماليته في شعر عز الدين مناصرة:**

**1. 4 التراث التاريخي:**

التاريخ هو ماضي الأمم وحياتها، فالأمة التي لا تاريخ لها يعني لا حياة فيها، تعني هذه الفكرة العودة للأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية وهي "ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإنّ لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية، والقابلة للتجدد-على امتداد التاريخ-في صيغ وأشكال أخرى؛ فدلالة البطولة في قائد معين، أو دلالة النصر في كسب معركة معينة تظل-بعد انتهاء الوجود الواقعي

لذلك القائد أو تلك المعركة –باقية، وصالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة وأحداث جديدة، وهي في نفس الوقت قابلة لتحمل تأويلات وتفسيرات جديدة"[13]

وبهذا يمكننا القول أنّ الرموز التراثية قد شاعت "في القصيدة العربية الحديثة، حيث عكف شعراؤنا على موروثهم، يستمدون من مصادره المختلفة-من موروث ديني، وموروث صوفي، وموروث تاريخي، وموروث أدبي، وموروث أسطوري أو فولكلوري-عناصر ومعطيات مختلفة، من أحداث وإشارات يبنون منها رموزهم، ويوحون من خلالها بأكثر أبعاد رؤيتهم الشعرية المعاصرة"[14]

ومن النماذج الشعرية التي تبرز ذلك **قول الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة**:

هل أكلّمُ دالية الروح، كي أنفخ الروح قبل الوَهَنْ

أنا الكرمليُّ الذي صاغ هذا الفضاء الرضين[15]

**وفي موضع آخر نجده يقول**:

هكذا قلت: منفاي داري، فلا تبتئس أيها الكرملُ

ليس غيرُ الجنوب الذي قال. . . . لكنّهُ يفعلُ[16]

يظهر هنا ذكره للكرمل وتصريحه بأنّه الكرملي نسبة إلى جبل موجود في فلسطين، شهد على مرّ التاريخ وتعاقب الأجيال على حياة الفلسطيني بحلوها ومرها، وتوظيفه هنا ليبين عراقة تواجده في موطنه، فهو رمز من رموز أصالته، ومقوم من مقومات هويته، ولهذا تغنى به الشعراء وافتخروا به، وثباته عنوان لصمود وقوة الشعب.

وعن الاحتلال الغاشم الذي دمّر وخرّب نجده **يقول**:

طائر الوقواق يحتلّ سراديب الأعالي السرمدية

طائر الوقواق لصّ في النّهار

يسرق التفاح من أرواحنا، ثمّ الهواء[17]

تحدث الشاعر عن المحتل الغاشم واعتبره طائر الوقواق، واختياره كان فيه تطابق بينهما، فهذا الطائر معروف عنه التخلي عن فراخه ووضعهم في عش ليس له، وهذا الأخير يتخلص من فراخ هذا العش، ويتغذى من قبل أبوين غير حقيقين، والعدو هو كذلك احتلّ بيتا غير بيته وطرد أصحاب البيت الأصلين وعاش بخيراتهم.

كما رسم لنا لوحة فنية أخرى رسّخت مشاهدها في العقول والقلوب **إذ يقول**:

سأبحث عنك في حطّين، في الوادي

وفي القمّة

متى تأتي متى تأتي متى تأتي

تحرّك هذه الأمّةْ[18]

ذكر حطّين يحيلنا إلى المعركة التي دارت بين المسلمين والصليبين، وشهدت انتصارا للمسلمين بقيادة البطل المغوار صلاح الدين الأيوبي، وتُظهر أسطر القصيدة انتظار من يأخذ بفلسطين إلى القمّة والمجد ويرفع رايتها من جديد، فهذا الاستنجاد يعتبر بمثابة المحفز والداعم، فأبناء فلسطين سيصنعون المجد الذي صنعه صلاح الدين في أرضهم.

**وفي موضع أخر نجده يقول في قصيدة بعنوان "أشجار بتولا"**:

فيدلْ كاسترو،

هوغو شافيز

نلسونْ مانديلا

قد أشعلوا الجبال والقيعان والسُهولا[19]

يتضح ممّا سبق ذكره أسماء شخصيات تاريخية هي: فيدال كاسترو، نيلسون مانديلا، هوغو شافيز، هم من أقطاب التحرّر في العالم، فكلّ منهم كان رافضا للظلم بكلّ أشكاله، كما رفضوا الأنظمة التي تبنت الاستغلال وتجبّرت وطغت، فكلّ اسم رسم

طريقه نحو الحرية والسلام، ودعوا إلى النضال والتمرد على مشاهد العدوان والطغيان، وما الاستنجاد بهم إلى ليسير المواطن الفلسطيني على خطى هؤلاء، أن تكون المقاومة والرفض رفيق دربهم في طريق ملغم بالقنابل والأشواك، كما استطاعوا الفوز وحققوا الغايات، سيحقق الفلسطيني غاياته وأهدافه فمن سار على هذا الدرب سيصل لا محالة.

وغير بعيد عن هذه النماذج التاريخية نجده يذهب إلى معلم بارز في الحضارة الإسلامية وهو القعقاع بن عمرو إذ **يقول**: ظلّ الضفدع مقتنعاً أنّ مخالبهُ

سيف القعقاع:

كانت بنتا ناعمةً نازحةً

تختلطُ بسحْنَتها الأنسابْ[20]

القعقاع شخصية إسلامية جاء على لسانها أن"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أعددتّ للجهاد؟ "قلتُ: طاعة الله ورسوله؛ والخيل، قال: "تلك الغاية القُصوى"[21].

فهي شخصية مقاتلة مجاهدة في سبيل الله، عرفت بقوتها وشجاعتها ومحاربتها للظلم، والشاعر يقول ما أحوجنا اليوم إلى مثل هذا البطل الذي يرفع السيف أمام الباطل، ويمحقه ويقتلع مخالب العدو الذي اعتبره ضفدعا.

واستخدام الرموز التراثية "يضفي على العمل الشعري عراقة وأصالة، ويمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنّه يمنح الرؤية الشعرية نوعا من الشمول والكلية، حيث يجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر"[22].

**2. 4 التراث الشعبي:**

يقول عنه إحسان عباس "تكمن الجاذبية في التراث الشعبي في أنّه يمثل جسرا ممتدا بين الشاعر والناس من حوله، فهو بذلك يؤدي دور المسرحية-إلى حد ما-في إيقاظ

الشعور القومي وإبقائه حيا، ولهذا لا غرابة أن نجد الإقبال على هذا اللون التراثي كبيرا عند بعض شعراء الأرض المحتلة. . . . فهناك إحساس بأنّ الاتكاء على هذا التراث، لا يكفل التجاوب مع ذلك الشعر وحسب، بل يقدم أيضا شهادة الاعتزاز بالموروث المشترك"[23].

ويواصل القول "ولا يخفى أن استخدام التراث الشعبي، يصبغ الشعر بلون محلي إقليمي خالص، يصعب أن يتخطى حدود الإقليم الواحد، وهو يرسم بذلك مستوى آخر -أعمق دلالة على الإقليمية- من الطابع الإقليمي العفوي الذي ميّز الشعر المصري عن العراقي عن اللبناني عن التونسي. . "[24]

ومن النماذج الشعرية التي عبّرت عن التراث الشعبي **قول عز الدين المناصرة:**

رجعت من المنفى

في كفّي خُفُّ حُنَيْنْ

حين وصلت إلى المنفى الثاني

سرقوا منّي الخُفّيْن[25]

**ويقول في قصيدة أخرى**: ولم يبق إلاّ نقوش الخرائب والمدن النائمات

فماذا تقول

وماذا أقول

وماذا نقول

أنا أعرف البئر-يا سيّدي-والغطاء[26]

وقوله: حملتُ لكم من رمال الجزيرة قمحاً

وكوفيةً وعقال

حملت لكم من كتاب الأماني، عِظاتْ[27]

**وقوله في موضع آخر:** يمّا برونْز

يمّا نْحاسْ

قلّ لي يا ساحرْ، كيْف تْعَنْتَرْ النَخّاسْ

على شاعرْ، فصيدي من قَمَر مطحونْ بالألوانْ

وّهايدا البَحَرْ يا لّلي نِشِفْ

-هيْك المَتَلْ بيقولْ-

بيْكدبْ الغطّاسْ[28]

المتصفح لهذه المقاطع الشعرية يجدها تطفح بالروح الفلسطينية ومقوماتها فكانت خير معبّر ومرافق، فاللهجة بارزة من ذلك قوله: يمّا، وّهايدا، هيْك، ورموز الحضارة الفلسطينية: كوفيةً وعقال، كما حضر المثل الشعبي أيضا: أنا أعرف البئر-يا سيّدي-والغطاء، رجعت من المنفى في كفّي خُفُّ حُنَيْنْ.

وهذا الشحن في التوظيف يعود "لما للتراث من حضور حي ودائم في وجدان الأمة، والشاعر حين يتوسل إلى الوصول إلى وجدان أمته بطريق توظيفه لبعض مقومات تراثها يكون قد توسل إليه بأقوى الوسائل تأثيرا عليه، وكلّ معطى من معطيات التراث يرتبط دائما في وجدان الأمة بقيم روحية وفكرية ووجدانية معينة، بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى أو ذاك من معطيات التراث لإثارة كلّ الايحاءات والدلالات التي ترتبط به في وجدان السامع تلقائيا"[29]

**3. 4 التراث الأسطوري:**

لطالما رافقت الأسطورة الشعر، فقد كانت الينبوع الذي أعان الشاعر وساهم في رسم صوره، وفي هذا يرى خليل حاوي أنّ الأساطير التي يستخدمها "الشعر الحديث باعتبارها معطى من معطيات التراث تمكّن الشاعر من دمج الذاتي بالموضوعي، ومن ثمّ التعبير عن التّجارب الكلية الشاملة"[30]

وفي نفس المضمار نذهب إلى إحسان عباس الذي يقول "إنّ للأسطورة جاذبية خاصة، لأنّه تصل بين الإنسان والطبيعة وحركة الفصول وتناوب الخصب والجدب، وبذلك تكفل نوعا من الشعور بالاستمرار. . . وهي من ناحية فنية تسعف الشاعر على ربط أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر، والربط بين الماضي والحاضر، والتوحيد بين التجربة الذاتية والتجربة الجماعية. . . لهذه الأسباب ولغيرها ذهب الشاعر الحديث-في توق محموم- يبحث عن الأسطورة ويعتمدها أنّى وجدها، لا يعنيه في ذلك أن تكون بابلية (عشتاروت تموز)أو مصرية(أوزوريس). . . . . "[31]

يعدّ هذا المصدر من " أوثق مصادر تراثنا-والتراث الإنساني عموما-صلة بالتجربة الشعرية، فالأسطورة هي الصورة الأولى للشعر، لقد أجمع نقاد الشعر وعلماء الأساطير كلاهما على أنّ الشعر في نشأته كان متصلا بالأسطورة، لا باعتبارها قصة خرافية مسلية، وإنّما باعتبارها تفسيرا للطبيعة والتاريخ، وللروح وأسرارها، ومعنى تفسيرنا للأساطير هو أن نكتشف فيها رموزا للأشياء، والأساطير ليست سوى أفكار متنكرة في شكل شعري"[32].

وعلى هذا رافقت الأسطورة الشعر، وكانت هي المنهل الذي نهل منه الشاعر وعبّر من خلالها عن مختلف الأفكار والمشاعر والقضايا، وها هو شاعر الفلسطيني لا يحيد عن الأسطورة وقد استغلها، وسبح في عوالم لا حدود لها، فجّر بفضلها دلالات كثيفة، فوظف من الأساطير اليونانية والرومانية والفرعونية وحتى العربية، ومن هذا الإرث الكبير نبدأ بأشهر أسطورة وهي أسطورة زرقاء اليمامة، فها هو **عز الدين المناصرة يقول**:

ونقشنا فوق صخور بيضاء

أسماء المرجئة، وأسماء الدينصورات

من جعلوا قدمي في المنفى

روحي في برّ الشام

من خلعوا عينيك يا زرقاء

إن كنت نسيتك، فلتأكلني حيتان البحر[33]

المقطع يستظهر أسطورة زرقاء اليمامة، هذه المرأة التي عرفت بحدّة بصرها إذ ترى القادم بمسار يوم وليلة، فأنذرت قومها قائلة "يا قوم، إنّي أرى على الجبل الفلاني رجلا، وما أظنه إلا عينا فاحذروه، فقالوا لها ما يصنع، فقالت إمّا يخصف نعلا، أو ينهش كتفا فكذبوها"[34].

وتكذيب زرقاء اليمامة نتج عنه هلاك القوم ودمارهم، وفي النّص أشار إليها الشاعر بقوله خلعوا عينك يا زرقاء، فقد كانت تنذر قومها بحدّة بصرها، أما اليوم فقد خلعوا عينها للدلالة على غياب من ينذر القوم بوجود الخطر، وهذا الغياب كان بالقوة ليعكس حالة الدمار والخراب التي يعيشها الفلسطيني فقد تعوّد على مشاهدها، فلم يعد بحاجة لزرقاء اليمامة حتى تنذره بوجود الخطر والهلاك، كما يمكن أن يكون قد رأى الوطن فلسطين في هذه الأسطورة ليعكس حجم الدمار والخراب والانتهاكات التي تعرفها بسب الاحتلال الغاشم.

**ويقول في مكان آخر:**

وهذا دربنا الثالث:

يقودنا إلى جزيرتنا البعيدة، حيث تسكنها

الشياطين الشتائية

لتسرق خاتمي في الليل جِنيَّة

لأصرخ يا علاء الدين

أين السرُّ، ضاع السرُّ

كيف أفكُّ هذا الطَّلْسَمَ المأسورْ

ولا شبّيك، ولا لبيّك، فاسمع صرخة المقهور[35]

استعان الشاعر هنا بعلاء الدين، هذه الشخصية الأسطورية التي عرفناها من خلال قصص ألف ليلة وليلة والتي تخبرنا عن الطفل الكسول الذي أصبح غنيا بسب

مصباح سحري، يخرج منه مارد يلبي جميع رغباته قائلا "شبيك لبيك، فأنا عبد من يحمل هذا المصباح بين يديه"[36]

يظهر هنا توظيف الشاعر لقصة علاء الدين إذ جعل الشاعر نفسه علاء الدين لكنّه لم ينجح بعد كما نجح في فكّ سر الخاتم، واكتشاف سر المصباح السحري، هذا يعكس حالة القهر والضياع والألم التي يعيشها الفلسطيني، الذي لم يجد من يسمع صراخه، ويلبي نداءه ويحقق رغباته وطموحاته، لا زال يقبع في الظلام الذي تجاوزه علاء الدين.

وفي الختام يحدّثنا إحسان عباس عن توظيف الأسطورة قائلا: "يعدّ استغلال الأسطورة في الشعر العربي الحديث من أجرأ المواقف الثورية فيه، وأبعدها آثارا حتى اليوم، لأنّ ذلك استعادة للرموز الوثنية، واستخدامها في التعبير عن أوضاع الإنسان العربي في هذا العصر"[37]

**4. 4 التراث الديني:**

لقد حضر التراث الديني في القصائد الشعرية العربية والفلسطينية بوجه خاص ومردّ ذلك إلى هذا التراث في حدّ ذاته فقد كان "في كلّ الصور ولدى كلّ الأمم مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصور أدبية"[38].

انطلاقا من القول نفهم أنّ التراث الديني حظي باهتمام بالغ من قبل الشعراء وهذا مرده لمكانة الدين المقدسة، ولم يتعلق هذا التوظيف بالشاعر العربي فقط وباتصاله بدينه وتمسّكه بالقرآن، فحتى الشاعر الأوروبي عاد إلى الكتاب المقدس واستلهم منه نماذجه الأدبية، بل هناك "من الشعراء الأوروبيين الكبار الذين استلهموا المصادر الإسلامية في أعمالهم الأدبية الشاعر الإيطالي الكبير دانته في ملحمته الشهيرة الكوميديا الإلهية حيث استلهم فيها حديث المعراج النبوي وغيره من المصادر الإسلامية العربية"[39] .

والشاعر الفلسطيني كغيره من الشعراء، فجعل المصادر الإسلامية المنبع الذي تشرّب منه أفكاره، وعبّر من خلاله عن نظرته للحياة ومختلف المواقف الخاصة، فوجدناه يأخذ من آيات القرآن في نصوصه لفظا ومعنى، كما وجدناه يستنجد بأسماء الأنبياء وقصصهم، فشحن نصه بمدلولاتها، وفجّر الطاقات الكامنة التي حوتها، ونذكر من ذلك ما قام به الشاعر عز الدين المناصرة **الذي يقول:**

طفت المدائن: بعضهم قذف القصائد

من عيون الشعر

يرثي والدي

والآخرون تنكروا: اذهب وربّك قاتلا

كأنّهم ما مرّغوا

تلك الذقون

على فتات موائدي[40].

يظهر من خلال المقطع الشعري تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، واقتباسه لآياته من ذلك قوله عزّ وجلّ ﴿**قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24)**﴾ سورة المائدة، الآية 24. تحدثنا هذه الآية عن رفض قوم موسى وهم بنو إسرائيل قتال الجبابرة وهذا يعكس الخوف، وما استنجاد الشاعر بها هنا في هذا المقام إلا ليعكس لنا حالة الجبن والخوف والسكوت أمام الظلم والبطش الذي يفرضه العدو الذي تجاوز المدى، في حين لو شارك الجميع، بدل الصمت والمشاهدة لكان النصر حاضرا.، وأنّ الذي حدث من نبي الله موسى مع قومه، يحدث مع الشاعر وقومه الذي تباينت ردود أفعالهم فمنهن من تكلّم دون فعل، ومنهم من أنكر ورفض.

**ويقول في قصيدة بعنوان "ليلة الافتتاح":**

في الأعالي السحيقة من تلمسانْ

قرأتُ على قبره سورةً

حيث فاضت عيونُ السماء التي

أصبحتْ وردةً كالدهانْ

ترشُّ العصافيرَ بالقمح

تجثو العصافيرُ راكعةً عند أقدامهِ

في صقيع الصباحْ[41]

يسير هذا المقطع في نفس منحى السابق، فالمعجم الديني بارز هنا، حيث استشهد الشاعر بآية من آيات القرآن الكريم ﴿**فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ** (37)﴾ سورة الرحمن، الآية 37. ومرد ذلك إلى تصوير النصر الذي ينقل فلسطين من لون السواد إلى لون خالص مشرق صافي، فكما يتغير لون السماء عندما تقوم القيامة، سيتغير لون الوطن فلسطين بعد قيامة الثورة ستفيض السماء بالخيرات وتشرق بلون النّصر والفرح والحرية.

لم يقتصر الشاعر على الألفاظ والمعاني القرآنية، بل ذهب إلى توظيف أسماء الأنبياء من ذلك النبي عيسى عليه السلام إذ يقول في قصيدته "**منامات الليلة القادمة**":

قلت يا غائبتي، هذا الربيعْ كقطار مرّ، أبقاني على جمر الصقيعْ

سامحيني إن تعجّلتُ الرؤى المحترقة

شجر البندق غنّاني مقام الرَصْدِ

حتّى كدت أُعلي من صراخي المُرِّ: عيسى قامَ. . . . قامْ[42].

تبرز هذه الأسطر الشعرية الاتكاء على سيرة النبي عيسى عليه السلام والحديث عن قيامه بصوت عالي مرتفع دلالة على تحقيق الحق، وارتفاعه في السماء ونصرة

المظلومين ومحاربة الظلم والمفسدين، وتكراره للقيام هو تعبير نفسي عن شدة انتظار هذا الحدوث.

**ويقول في مقطع آخر:**

صوتُنا كالينابيع إن جلجلتْ

في عروق الصخور

أوراق العشب فوق السفوح

صوتُنا مثل طوفان نوح

جنّة. . . . ونعيم

صوتُنا كامتداد اللظى في الجحيم

صوتُنا واحد عندما ينهمر[43]

جاء على لسان الشاعر طوفان كطوفان نوح، هذا الأخير الذي أزال الموجود عن الوجود، ومحى ملامحه ودمّره تدميرا، استنجد به الشاعر ليحكي لنا عن قصة طوفان الشعب الفلسطيني الثائر المناضل الرافض للظلم الداعي لاسترداد الحق، المحارب للباطل، فرسالته رسالة حق ورفضه طوفان جارف للاستبداد والبطش.

**ويقول في قصيدة أخرى:**

طفلة نثرت شعرها في الهواء

ارتختْ حين دَلَّعتُها بالأغاني

الحنونة في المنعرج

عند نهر من الماس، يمشي بطيئا، له

ثغرةٌ قاتلةْ

ولها صبر أيوب مثلي، [44]

في هذا الموضع ورد اسم أيوب الذي يحيلنا إلى نبي الله الذي عرف بصبره، فالشاعر هنا جعل صورة الموطن فلسطين مثل صورة النبي أيوب إذ تلتقيان في صفة الصبر، فهي صابرة على كلّ الأذى والألم الذي فرض عليها من قبل العدو وصبرها هو قوتها للتجاوز وتتصدى إلى أن تشرق شمس الحرية.

**وقوله**: لكنّني سَهْمٌ

للصخر قد يخترقْ

وأمتطي مُهْري،

في غزوة الخندق. [45]

ممّا ذكر نقول أنّ استحضار الشاعر لغزوة الخندق لسببين، لأنّها انتهت بانتصار المسلمين، وهذا ما يتمنى حدوثه في فلسطين، و لأنّ هذا النّصر كان جميلا انتصر فيه الحقّ وزهق فيه الباطل، فالفلسطيني بإيمانه سهم يكسر صخر العدو ويخترقه.

**4. خاتمة:**

في ختام دراستنا هذه نقول أنّ التراث كان رفيق درب الشاعر وهو المعين الذي ساق من خلاله مضامينه الشعرية فعبّر عن حب الوطن والتّمسك به، ودعا الفلسطيني لأن يكون بطلا وقائدا ومحاربا للعدو وما فرضه من استعباد وقهر ومعاناة وقتل وتدمير وتشريد ونفي لأبناء الوطن الغالي، فأراده أن يكون مثل صلاح الدين الأيوبي ومثل القعقاع بن عمرو وفيدال كاسترو ونيلسون مانديلا، وأن يحقق انجازا يحفر في التاريخ مثل معركة حطّين وغزوة الخندق، كما وجدناه معبّرا عن هويته ووطنيته، مستعينا بالتراث الشعبي فالعقال والكوفية واللهجة الفلسطينية كانت حاضرة.

وما قدمناه ما هو إلاّ غيض من فيض فقصائد عز الدين مناصرة ارتبطت كثيرا بالتراث ويمكن أن يعالج ذلك في ديوان شعري، كما يمكن تخصيص الدراسة لتتناول نوعا واحد من أنواع التراث (التاريخي، الديني، الأسطوري، الصوفي، الأدبي، الشعبي).

## 5. الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مكتبة نور، المجلد 06، ج53، ص 4809-4810.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، بيروت-لبنان، ج2، ص 571.

[3] سيد علي اسماعيل، أثر التراث العربي في المسرح المصري المعاصر، دار هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص 38.

[4] ابتسام مرهون، التراث العربي بين أنصاره ورافضيه، مجلة المورد، بغداد-العراق؛المجلد 3، العدد 2، 1974، ص 33 .

[5] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة-دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط الأولى، 1991، ص45.

[6] علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة والنشر؛ القاهرة-مصر، 2006، ص7.

[7]عبد الجليل مرتاض، دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث، منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر، 2005، ص91.

[8] علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص7.

[9] المرجع نفسه، ص16

[10] كاملي بلحاج، توظيف التراث في الشعر العربي القديم قراءة في الآليات، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب واللغات، سيدي بلعباس، المجلد1، العدد2، يوم 2 جوان 2003، ص31.

[11] علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص25.

[12] المرجع نفسه، ص27.

[13] المرجع نفسه، ص120.

[14] علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة-مصر؛ ط4، 2002، ص121.

[15] عز الدين المناصرة، لا أثق بطائر الوقواق، دار مجدلاوي، عمان-الأردن، ط3، 2004، ص107.

[16] المصدر نفسه، ص18.

[17] المصدر نفسه، ص33.

[18] عز الدين المناصرة، الخروج من البحر الميت، دار مجدلاوي، عمان-الأردن، ط3، 2004، ص77.

[19] عز الدين مناصرة، لا سقف للسماء، دار مجدلاوي، عمان-الأردن، ط1، 2009، ص71-72.

[20] عز الدين المناصرة، لا أثق بطائر الوقواق، ص78.

[21] أبو الحسين عبد الباقي بن القانع، معجم الصحابة، مكتبة الغرباء الأثرية، المجلد2، ص 367.

[22] علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص121.

[23] إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1978، ص118-119.

[24] المرجع نفسه، ص120.

[25] عز الدين المناصرة، الخروج من البحر الميت، ص34.

[26] المصدر نفسه، ص30.

[27] المصدر نفسه، ص29.

[28] عز الدين المناصرة، لا أثق بطائر الوقواق، ص119.

[29] علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص16.

[30]المرجع نفسه، ص22.

[31] إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص129.

[32] علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص174

[33] عز الدين المناصرة، الخروج من البحر الميت، ص59.

[34] محمد التونجي، الآداب المقارنة، دار الجيل، بيروت-لبنان؛ ط1، 1995، ص65-66.

[35] عز الدين المناصرة، الخروج من البحر الميت، ص49.

[36] ألف ليلة وليلة، تر: أميرة علي عبد الصادق، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2011، ص59.

[37] إحسان عباس، المرجع السابق، ص129.

[38] علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص75.

[39] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو-مصر؛ ط3، ص153-154.

[40] عز الدين المناصرة، الخروج من البحر الميت، ص45.

[41] عز الدين المناصرة، لا أثق بطائر الوقواق، ص47.

[42] المصدر نفسه، ص25.

[43] عز الدين مناصرة، الخروج من البحر الميت، ص63.

[44] عز الدين المناصرة، لا أثق بطائر الوقواق، ص88.

[45] عز الدين مناصرة، لا سقف للسماء، ص91.